Al-Daleel

Reason and Religion between " Evidentialism " and "Fideism"

Mustafa Azizi

Assistant Professor of Islamic Philosophy, Al-Mustafa International University, Iran.

E-mail: m.azizi@aldaleel-inst.com

Abstract

There is a serious conflict between reason and faith since the Age of Enlightenment until present era. In order to show the relation between reason and religion, British mathematician "William Clifford" proposed the theory of "Evidentialism". Based on this theory, religious beliefs cannot be accepted unless sufficient evidences and indications are established to support and confirm them; otherwise, they are rejected. The belief in anything is false if it is not based on sufficient evidences, arguments and indications. Evidentialism rejects the plausibility of religious beliefs and holds that they do not have sufficient rational evidences. There is a countertheory to Evidentialism called "Fideism". It emphasizes that religious doctrinal system is not subject to rational evaluation. So, every effort and attempt to prove religious beliefs by rational evidence, like proving the belief in the existence of God, would fail; because the field of religious beliefs is not a field for reason and reasoning. However, the domain of religious beliefs is not but love, emotions and feelings. In this study, we discuss both theories of Evidentialism and Fideism, following the analytical rational approach. we criticize and evaluate them, and then suggest moderate rationalism instead.

Keywords: Evidentialism, Fideism, Clifford, reason, belief, religious beliefs, indications.

_____

Al-Daleel, 2021, Vol. 4, No. 1, PP.148-166
Received: 12/4/2021; Accepted: 19/5/2021
Publisher: Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies
©the author(s)

العقل والدين بين "الدليلية" و"الإيمانية"

مصطفى عزيزي

أستاذ مساعد في الفلسفة الإسلامية، جامعة المصطفى العالمية، إيران. البريد الإلكتروني: m.azizi@aldaleel-inst.com

الخلاصة

هناك صراع محتدم بين العقل والإيمان منذ عصر التنوير إلى العصر الراهن، وقد اقترح العالم الرياضي البريطاني ويليام كليفورد نظريةَ "الدليلية" (Evidentialism) لبيان العلاقة بين العقل والدين. وبناءً على هذه النظرية لا يمكن قبول المعتقدات الدينية إلّا إذا أقيمت أدلّة كافية وقرائن وافية لدعمها وتأييدها، وإلّا فهي مرفوضة؛ فالاعتقاد بأيّ شيء إذا كان على أساس قرائن وأدلّة وشواهد غير كافيةٍ اعتقادٌ خاطئٌ. وترفض الدليلية معقولية المعتقدات الدينية وترى أنّها لا تخضع للقرائن الكافية العقلية. وهناك نظرية تضادّ الدليلية وتقابلها وهي "الإيمانية" (Fideism)، إذ تركّز المدرسة الإيمانية على أنّ المنظومة العقدية الدينية لا تخضع للتقييم العقلي، فكلّ سعي ومحاولة لإثبات المعتقدات الدينية بالأدلّة العقلية كإثبات الاعتقاد بوجود الله هي محاولة فاشلة؛ لأنّ مجال الاعتقادات الدينية ليس مجالًا للتعقّل والاستدلال، بل المعتقدات الدينية مجالها العشق والمحبّة والعواطف والأحاسيس فحسب. وقد استعرضنا في هذا البحث كلتا نظريّتي الدليلية والإيمانية من خلال المنهج العقلي التحليلي، وقمنا بنقدها وتقييمها، ثمّ اقترحنا العقلانية المعتدلة محلّهما.

الكلمات المفتاحية: الدليلية، الإيمانية، كليفورد، العقل، الإيمان، المعتقدات الدينية، القرائن.

مجلة الدليل، 2021، السنة الرابعة، العدد الأول، صص. 148-166

استلام: 2021/4/12 ، القبول: 2021/5/19

الناشر: مؤسسة الدليل للدراست والبحوث العقديّة

© المؤلف

المقدّمة

تنقسم الأدوار التاريخية في الغرب إلى: القرون القديمة، والقرون الوسطى، والعصر الحديث. ينقسم العصر الجديد في حدّ ذاته إلى ثلاث مراحل: عصر النهضة (Renaissance)، وعصر الإصلاح (Referee)، وعصر التنوير (Enlightenment)، يعدّ القرن الثامن عشر الميلادي عصر التنوير. ومن أهمّ ميزات هذا القرن تكريس الجهود لتحرير العقل من قيود الخرافات التي تمنع البشرية من التقدّم والتطوّر، فقد عُدّ الدين من أبرز مصاديق الخرافة في هذا العصر. في هذه الأجواء ظهرت نظرية "أصالة الدليلية" (Evidentialism) التي تعدّ من أبرز الاتّجاهات في العقلانية المفرطة

ألّف كليفورد مقالةً تحت عنوان "Ethics of Belief" (أخلاق الاعتقاد) وبيّن فيها رؤيته الخاصّة إلى معقولية المعتقدات الدينية.

في المقابل تركز نظرية الإيمانية على رفض دور العقل وإقصائه عن المعرفة الدينية. لا يخفى أنّ في نظرية الإيمانية اتّجاهاتٍ مختلفةً تسودها روح مشتركة وهي طرد العقل وإقصاؤه، ونفي دوره في إثبات المعتقدات الدينية، والتركيز على العناصر الإيمانية. فمن هذه الاتّجاهات الإيمانية ما يرى التعارض والتناقض بين العقل والمعتقدات الدينية. ومنها ما يرى أنّ هناك حاجزًا وسدًّا بين نطاق العقل والدين؛ فلا يجوز أن يتدخّل أحدهما في نطاق الآخر مع فرض حجّية كلٍّ منهما في نطاقه. ومنها ما يرى أنّ العقل تابع للوحي، وأنّه آلة ووسيلة لتبرير القضايا الدينية، فإذا أثبت العقل شيئًا خلاف مقتضى الإيمان يتوجّب رفضه. ومنها ما يرى أنّ المعتقدات الدينية تعدّ من القضايا الأساسية البيّنة الّتي لا تحتاج إلى إثبات وتقييم عقلي. ولكنّ جميع هذه الاتّجاهات والنزعات الإيمانية تصبّ في مصبّ واحد وهو إقصاء العقل عن الدين والقضايا الدينية.

فالسؤال الأصليّ في موضوع "العقل والدين" هو: هل يجب أن يتوقّف الإيمان والقضايا الدينية في صدقها واعتبارها على العقل والأدلّة العقلية؟ هل يمكن إثبات القضايا والمعارف الدينية بالعقل؟ هناك عدّة اتّجاهات في الإجابة على هذا السؤال المهمّ والمفصلي، وهي بين الإيمانية والعقلانية.

نتطرّق في بحثنا هذا إلى نظريتين أساسيتين في مجال العلاقة بين العقل والدين وهما "الدليلية" و"الإيمانية"، ثمّ نقوم بنقدهما واختيار العقلانية المعتدلة بوصفها حلًّا ناجعًا في هذا المجال.

نظرية أصالة الدليلية (Evidentialism)

تركّز نظرية "الدليلية" على لزوم إقامة القرائن والشواهد والأدلّة الكافية على المعتقدات الدينية، وإلّا يجب رفضها. بعبارة أخرى: اعتناق أيّ عقيدة ودين ـ سواءٌ كانت المسيحية أو غيرها ـ خطأ وغير صائب، إلّا إذا كان على أسس عقلانية وأدلّة عقلية. وتعدّ نظرية الدليلية مشكلةً أساسيةً وكبيرةً أمام الديانة المسيحية، وقد أثارت ضجّةً كبيرةً في تاريخ الفلسفة، بحيث استسلم بعض المفكّرين أمامها، واقتنعوا بأنّه لا يمكن إثبات العقلانية للديانة المسيحية في ضوء نظرية "الدليلية"، وحاول آخرون أن يجمعوا شواهد كافيةً وقرائن شافيةً وأدلّةً مقنعةً للدفاع العقليّ عن الدين. يقول ويليام كليفورد المتخصّص في علم الرياضيات، وهو المبدع لنظرية أصالة الدليلية:

«لا يمكن قبول المعتقدات الدينية إلّا إذا أقيمت أدلّة كافية وقرائن وافية لدعمها وتأييدها، وإلّا فهي مرفوضة ومنبوذة. الاعتقاد بأيّ شيء إذا كان على أساس قرائن وأدلّة وشواهد غير كافية، فهو اعتقاد خاطئ» [W. K. Clifford, The Ethics of Belief, p. 70].

بعبارة أخرى يعتقد كليفورد بأنّه: لا تكون القضية معقولةً وصحيحةً إلّا أن تكون مدعومةً ومؤيَّدةً بالقرائن والشواهد الكافية، فكلّ قضية تعتمد على أدلّة وقرائن غير كافية وناقصة فهي خاطئة؛ لذا يقول كليفورد: «دائمًا وأبدًا يكون الاعتقاد بأيّ شيء في ضوء القرائن الناقصة عملًا خاطئًا وغير مقبول».

[Michael Peterson, William Hasker, Bruce Reichenbach and David Basinger, Reason & Religious Belife, An Introduction to the Philosophy of Religion, p.61].

يستدلّ كليفورد بتمثيل "السفينة" على أنّه لا يجوز الاعتقاد بشيء إلّا إذا كانت هناك شواهد وأدلّة وبيّنة كافية على تأييده ودعمه، ويقول: نفترض أنّ ربّان السفينة يحتمل قبل السفر بأنّ سفينته يمكن أن تصاب أثناء الرحلة بخلل ونقص، فتحتاج إلى رفع الخلل والنقص. ولكن يُقنِع نفسَه بأنّ هذه السفينة قامت برحلات عديدة ناجحة مرارًا وتكرارًا، ولم يصبها خلل ولا نقص، وأنّ هذه السفينة صُنعت في غاية الإتقان والإحكام، فلا يصيبها خلل وعيب أثناء هذا السفر أيضًا. فلم يقم الربّان بتصليح عيب السفينة المحتمل ونقصها، فبدأ الربّان بجولته بالسفينة فتفاجأ بالمشكلة والخلل في سفره وغرقت السفينة. يعتقد كليفورد بأنّ ربّان السفينة وصاحبها هو المسؤول عن إهلاك المسافرين فيها حتّى ولو لم يجرّمه القانون؛ لأنّه لم يمتلك أدلّةً

وشواهد وقرائن كافيةً ووافيةً على الاعتقاد بسلامة السفينة وبراءتها من النقص والخلل، فصاحب السفينة مقصّر. ثمّ يستنتج كليفور بعد نقل هذا التمثيل قاعدةً عامّةً يقول فيها: «إنّه لمن الخطإ دائمًا وفي كلّ مكان ولأيّ كان أن يعتقد المرء بشيء دون أن تتوفّر لديه الأدلّة الكافية لإثباته».

[W. K. Clifford, The Ethics of Belief, pp. 70-71؛ Alvin Plantinga and Nicholas Wolterstorff, Faith and Rationality, p.25]

وكما يقول جون لوك (John Locke) الذي يعدّ من روّاد عصر التنوير والمدافعين عن نظرية "الدليلية": «لا شكّ أنّه لا يجوز الاعتقاد بشيء لا يعقل الاعتقاد به».

[Alvin Plantinga and Nicholas Wolterstorff, Faith and Rationality, p.6]

إنّ ويليام كليفورد، وبراند بلانشارد (Brand Blanchard) ، وبرتراند راسل (Bertrand Russell)، وميخائيل سكريفن (Michael Scriven)، وأنطوني فلو (Anthony flew) من أبرز القائلين بنظرية الدليلية (Evidentioalistm)، فإنّ هؤلاء يستدلّون على أنّ الاعتقاد بالله غير معقولٍ أو بعيدٌ عن العقل والبرهان العقليّ، ولا تنطبق عليه المعايير المعرفية؛ لأنّه لا يوجد أدلّة وقرائن كافية ووافية على الاعتقاد بالله.

سئل برتراند راسل يومًا: «إذا حضرتَ يوم القيامة في محضر الله وسألك الله: لماذا لم تكن في جملة المؤمنين، فبماذا تجيب؟ فأجاب راسل: سأقول: لم أجد قرينةً وأدلّةً كافيةً على ذلك» [Ibid, p.18]. وأيضًا يقول راسل: «قيمة كلّ عقيدة على قدر الأدلّة والقرائن الّتي تُثبتها وتدعمها» [Ibid, p 25].

يعتقد أنطوني فلو: «إذا لم تقم هناك أدلّة وبيّنات على وجود الله، فلا دليل عندنا على الاعتقاد بوجود الله، وحينئذٍ الموقف المقبول هو الإلحاد السلبي أو الشكّاكية» [Ibid, p 25-26]. كذلك يقول: «لا نمتلك أيّ دليل وقرينة وبيّنة كافية لتصديق قضية: "الله موجود"» [Ibid].

يقول ميخائيل سكريفن: «إذا لم تكن هناك أدلّة وبراهين كافية على وجود الله، فلا مفرّ إلّا إلى الإلحاد» [Ibid, 27].

الجدير بالذكر أنّ العقلانية المفرطة الّتي تتمثّل في نظرية "أصالة القرينة والبيّنة" تعدّ ردّة فعل معاكس لاتّجاه الإيمانية المفرطة. يركّز الاتّجاه العقلاني المفرط على إثبات صدق المنظومة

العقدية الدينية بحيث يرتضيها العقل ويسلّم بها. المراد من "الإثبات" هو أن يتمّ صدق العقيدة بحيث يُقنع كلّ إنسانٍ عاقلٍ. فيجب إثبات جميع المعتقدات التي يعتقد بها الإنسان المؤمن بأدلّة كافية وافية يقتنع بها جميع العقلاء.

[Michael Peterson, William Hasker, Bruce Reichenbach and David Basinger, Reason & Religious Belief, an Introduction to the Philosophy of Religion, p.61].

بعبارة أخرى أنّ القضايا والمعارف الدينية معقولة وخاضعة للمعايير العقلية ما دامت تُقنع كلّ عاقل في جميع الأزمنة والأمكنة، وقابلةً للإثبات عندهم، وإلّا ليست صالحةً للتصديق. بناءً على العقلانية المتطرّفة أو الثقة المفرطة بالعقل لا يجوز بناء الإيمان والعقيدة على أساس الأحاسيس والعواطف، بل يجب إثبات صحّة العقيدة والإيمان وإقرارها بأدلّة مقنعة لكلّ إنسان عاقل.

الدراسة النقدية

أوّلًا: أنّ نظرية العقلانية المفرطة تناقض نفسَها بحسب المعيار الّذي تعتمد عليه؛ لأنّ هذه النظرية نفسها قد لا تُقنع كلّ عاقل؛ إذ قد تفتقد هذه النظرية في حدّ ذاتها هذا الشرط والمعيار الذي حدّدته للعقلانية.

ثانيًا: تختلف مستويات الأفهام والعقول قوّةً وضعفًا وكمالًا ونقصًا، فمن الناس من تقنعه أدلّة بسيطة سهلة، ومن الناس من هو أقوى عقلًا وفكرًا، فلا تقنعه هذه الأدلّة البسيطة، ومنهم من هو أكمل عقلًا وفهمًا؛ فهناك إذن اختلاف في مستويات فهم الناس وعقولهم.

بالنسبة إلى تمثيل السفينة: فلا شكّ في أنّ العقل يحكم بدفع الضرر المحتمل خاصّةً إذا كان المحتمَل شيئًا مهمًّا، كحفظ نفوس الناس. ولكن لا يحتاج إثبات سلامة السفينة إلى أدلّة وبيّنة مقنعة لجميع عقلاء العالم، بل إذا فتّش الربّان السفينة وحصل على الطمأنينة والقناعة المعتادة بأنّها صحيحة وسالمة، فيجوز الاعتماد على السفينة.

ثالثًا: المشكلة الرئيسة الّتي تعاني منها العقلانية المفرطة هي: أنّها تزعم بأنّ كلّ ما يعجز العقل عن إثباته وإقامة الدليل والبيّنة عليه فهو غير معقول وغير موثوق به، وهذا خطأ فادح يرتكبه أصحاب العقلانية المفرطة؛ لأنّ هناك حقائق وأمورًا فوق إدراك العقل، وعدم الوجدان

لا يدلّ على عدم الوجود.

رابعًا: ما هو معيار مقبولية العقيدة وصحّتها لدى كلّ عاقل؟ وهل يقتنع كلّ إنسان عاقل بصحّة العقيدة جزافًا واعتباطًا؟ أو أنّ قبول العقلاء ورفضهم يعتمد على أصول وضوابط ومعايير عقلية منطقية؟ لا شكّ في أنّ العقلاء لا يقتنعون بشيء بلا معيار ولا ميزان، فما هو الميزان والمعيار الّذي يعتمد عليه كلّ عاقل في العالم في قبوله ورفضه لعقيدة أو فكرة؟ لا شكّ في أنّ الدليل والبرهان المنطقي هو المعيار في قبول عقيدةٍ ما أو رفضها.

بعبارةٍ أخرى: يجب التمييز بين "العقلاء" بما هم يمتلكون العقل السليم وبين العقلاء بما هم يمتلكون الافتراضات المسبقة والتعصّبات والمصالح الشخصية والقدرات الفكرية والعقلية المختلفة. نعم، هناك أدلّة وبراهين تصلح في حدّ ذاتها لإقناع العقل السليم الخالي من التعصّبات والشهوات والشبهات. ولكن هل كلّ عاقل بما يمتلك من بعدٍ بشريٍّ تقنعه هذه البراهين الصحيحة في مقام العمل؟ فيمكن أن يكون الدليل والحجّة على شيء قويًّا ومتقنًا، ولكنّ التعصّبات والأغراض الشخصية تمنع من قبول الحقّ وتسلّمه.

خامسًا: يدّعى كليفورد: «دائمًا وأبدًا يكون الاعتقاد بأيّ شيءٍ في ضوء القرائن الناقصة عملًا خاطئًا وغير مقبولٍ»، ولكن هناك مواطن ضعف وإشكال في هذا الكلام:

أ- ماذا يقصد بالقرائن والأدلّة والشواهد؟ هل مراده هو الدليل البرهاني العقلي الذي يفيد اليقين بالمعنى الأخصّ كما ذكر في علم المنطق؟ أو مراده من القرائن أعمّ من البرهان اليقيني وكلّ قرينة غير قطعية أو شواهد ظنّية؟!

ب- ما هو معيار النقصان والتمام عندما نقول "القرينة الناقصة"؟! إنّ مفهومي النقصان والكفاف في "القرائن الكافية أو الناقصة" يعانيان من الإبهام والغموض، بحيث لا يخضعان لمعيار وميزان محدّد.

ويمكن أن نقول بنحو الإجابة النقضية:

هل الاعتقاد بنفس هذه القضية التي يدّعيها كليفورد مبنيٌّ على قرائن كافية؟! كلّا، لا توجد قرائن وشواهد كافية مقنعة على هذا الادّعاء.

سادسًا: بالنسبة إلى كلام برتراند راسل الّذي يقول: «لم أجد قرينةً وأدلّةً كافيةً على الإيمان

بالله [فلم أؤمن]» [Alvin Plantinga and Nicholas Wolterstorff, Faith and Rationality, p.18]، فهناك عدّة أسئلة تطرح:

ما المقصود من الأدلّة الكافية؟ وما معيار "الكفاية"؟ هل المطلوب الكفاية الشخصية أو الكفاية النوعية؟ هل الفطرة الإنسانية المُقِرّة بالله ـ تعالى ـ تعدّ من جملة الشواهد والأدلّة الكافية؟ هل الشواهد التجريبية الحسّية من النظم السائد على الكون وإتقان الصنع تعدّ من الأدلّة الكافية؟!

ومن يمعن النظر في الكون يجد أنّ العالَم مليء بالشواهد والقرائن والآيات الدالّة على عظمة الخالق تعالى، وهي كافية وشافية ومقنعة لكلّ عقل سليم. هذا علاوةً على أنّ الفلاسفة أقاموا أدلّةً عقليةً رصينةً على إثبات وجود الله تعالى، وهي مقبولة عند من يمتلك العقل السليم والمبادئ العقلية الصحيحة.

من جهةٍ أخرى نسأل راسل ونقول: هل وَجَدت قرينةً ودليلًا على عدم وجود الخالق أو لا؟! فكما أنّ وجود الخالق يحتاج إلى القرينة والدليل، فكذلك نفي الخالق وعدمه يحتاج إلى القرينة والدليل. يقول أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام حول هذا الموضوع:

«فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكرَ الْمُقَدِّرَ وَجَحَدَ الْمُدَبِّرَ، زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ، وَلَمْ يَلْجَؤُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا، وَهَلْ يَكونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ» [نهج البلاغة، الخطبة 185].

يمكن إضافة نقد مهمّ لنظرية أصالة الدليلية وهو أن النظرية منشؤها الأساس الديانة المسيحية، فبأيّ منطق تعمّمها على بقية المعتقدات والديانات الأخرى؟!

المدرسة الإيمانية (Fideism)

تركّز المدرسة الإيمانية على أنّ المنظومة العقدية الدينية لا تخضع للتقييم العقليّ، فكلّ سعي ومحاولة لإثبات المعتقدات الدينية بالعقل والأدلّة العقلية كإثبات الاعتقاد بوجود الله ﷻ هي محاولة فاشلة وأمر مرفوض؛ لأنّ مجال الاعتقادات الدينية ليس مجالًا للتعقّل والتفكّر والاستدلال، بل المعتقدات الدينية مجالها العشق والمحبّة والعواطف والأحاسيس فحسب. هناك قراءتان أساسيتان للإيمانية:

الدين والإيمان ضدّ العقل.

أنّ الإيمان ليس ضدّ العقل، بل هو فوق العقل.

والروح المشتركة بين القراءتين هي طرد العقل وإقصاؤه، ونفي دوره في إثبات المعتقدات الدينية، والتركيز على العناصر الإيمانية. فمن هذه الاتّجاهات ما يرى التعارض والتناقض بين العقل والمعتقدات الدينية. ومنها ما يرى أنّ هناك حاجزًا وسدًّا بين نطاق العقل والدين؛ فلا يجوز أن يتدخّل أحدهما في نطاق الآخر مع فرض حجّية كلٍّ منهما في نطاقه. ومنها ما يرى أنّ العقل تابع للوحي، وأنّه آلة ووسيلة لتبرير القضايا الدينية، فإذا أثبت العقل شيئًا خلاف مقتضى الإيمان يتوجّب رفضه. ومنها ما يرى أنّ المعتقدات الدينية تعدّ من القضايا الأساسية البيّنة الّتي لا تحتاج إلى إثبات وتقييم عقلي. ولكنّ جميع هذه الاتّجاهات والنزعات الإيمانية تصبّ في مصب واحد وهو إقصاء العقل عن الدين والقضايا الدينية.

ينبغي هنا الإشارة إلى نقطة مهمّة وهي أنّ تيّار الإيمانية قد استغلّ ثلاثة أمور في ترسيخ الرؤية الإيمانية وتضعيف العقلانية، وهي:

1ـ الاستفادة من "تيّار الشكّاكية" (Skepticism) الّذي ازدهر وتطوّر في عصر النهضة في القرن السادس عشر. فقد حاول علماء المسيحية تحقير العقل وإقصاءه في ضوء الإشكاليات الّتي طرحتها الشكّاكية لدحر العقل وطرده من ساحة المعرفة البشرية، وركّزوا على الإيمان الأعمى والفارغ من العقلانية. ومع أنّ الشكّاكية والنسبية لا تلازم الإيمانية، ولكن التيّار الإيماني استغلّ الشكّاكية لدفع العقل المنافس للإيمان حسب زعمه.

2ـ الاعتماد على أفكار ويليام الأوكامي (William of Ockam) (1300ـ 1349م) وآرائه، فلقد استغلّ التيّار الإيماني آراء ويليام الأوكامي في رفض العقل وإنكار دوره في حقيقة الإيمان. وكان الأوكامي يعتقد أنّ العقل لا يقدر على إثبات العلم الإلهي المطلق واللامتناهي. من جهة أخرى يركّز على نظرية "الاسمانية" (nominalism) ورفض الكلّيات المفهومية (Universal)، وهذه النظرية دعمت الإيمانية دعمًا كثيرًا. يعتقد إميل برييه (Émile Bréhier) أنّ:

«الاتّجاه الاسمي (أو المدرسة الاسمية)[1] ظهر في القرن الرابع عشر، وتحدّى العقلانية

1 يعتقد ويليام الأوكاميّ (المتوفّى سنة 1349 م) بأنّه بناءً على المدرسة "الاسميّة" فإنّ المفاهيم الكلّيّة كمفهوم الإنسان لا مصداقَ ولا محكيَّ لها في الواقع الخارجيّ، بل المفاهيم الكلّيّة تحكي عن الأفراد الجزئيّة الخارجيّة. بعبارة أخرى: بما أنّ ما هو محقَّقٌ في الخارج هو الأفراد الجزئيّة والشخصيّة، فليست للمفاهيم الكلّيّة ما بإزاءٍ ومحكيٌّ في الخارج من أذهاننا. الكلّيّاتَ علاماتٌ في الذهن لا تدلّ إلّا على الأفراد. انظر: جيلسون، اتين،

بمشاكل معرفية، بحيث أدّت إلى بروز قناعة بأنّ العقل والبرهان العقليّ يعجز عن إثبات وجود الله تعالى، وهذا تسبّب في ظهور هوّة بين العقل والوحي» [مجتهدى، فلسفه در قرون وسطى، ص 34].

3ـ لقد استغلّ الاتّجاه الإيماني نظرية المعرفة لإيمانؤيل كانط (Immanuel Kant) (1724 ـ 1804) ـ الّتي تركّز على تضعيف العقل النظريّ وتعجيزه، وتدّعي أنّه قاصر ومحدود في إثبات المتافيزيقيا ـ في الدفاع عن الإيمانية وطرد العقل ورفضه [حسين زاده، معرفت دينى، عقلانيت و منابع، ص 41 و49].

يمكن تقسيم المدرسة الإيمانية إلى القديمة والجديدة؛ الإيمانية القديمة ـ التي كانت شائعةً في القرون الوسطى ـ تركّز على الاكتفاء بالوحي المسيحي وإقصاء العقل عن الوحي والديانة المسيحية. فالكتاب المقدّس مرجعية شاملة ومحورية مطلقة، وينبغي الرجوع إليه في كلّ شيء. هذا التيّار يرفض الفلسفة اليونانية رفضًا باتًّا، ويعتبرها كذبًا وباطلًا ومنشأً للبدع، ويصرّح بأنّ المعرفة الفلسفية تخالف الديانة المسيحية وتعارضها تعارضًا لا يمكن رفعه. وهذه النظرية طرحت من قِبل المفكّر المسيحي ترتليان (Tertullianus) (المتوفّى سنة 220 م).

[Etienne Gilson, Reason And Revelation In The Middle Ages, p.10]

الجدير بالذكر هو أنّ أتباع الإيمانية المتطرّفة يعتقدون بأنّنا إذا قمنا بتقييم كلام الله بالعقل والمنطق والعلم فقد عبدنا العقلَ والمنطقَ والعلمَ ولم نعبد اللهَ تعالى. فعلى الإنسان أن يؤمن ويرمي بنفسه في الإيمان من دون التمسّك بأيّ دليل أو شاهد وقرينة على صدق معتقده؛ لذا كان الشعار الأصلي في القرون الوسطى هو: "الابتعاد عن الفلسفة والرجوع إلى الإنجيل".

[Etienne Gilson, Reason and Revelation in The Middle Ages, p. 3]

وكان القديس أغوسطين (Saint Augustine) يؤكّد تقديم الإيمان والوحي على العقل، ويصرّ على مركزية الوحي ومحورية الدين المسيحي بوصفه مصدرًا أساسيًّا للمعارف البشرية، وجعل العقل مؤيّدًا وتابعًا للوحي وتعاليم المسيحية. بناءً على رؤية أغوسطين فالوحي هو المحفّز لنا لكي نستعمل عقلنا في فهم مفاده ومضامينه، إذن يعدّ العقل آلةً ووسيلةً تُستخدم للفهم الصحيح للوحي ولخدمته، فللعقل دور تبعي وآلي.

وتعدّ نظرية القدّيس أغوسطين من أهمّ النظريات الإيمانية في القرون الوسطى، فإنّه يعتقد

نقد تفكر فلسفى غرب [نقد الفكر الفلسفيّ الغربيّ]، ص 58.

بأنّ أفضل طريق آمن للوصول إلى الحقيقة ليس الطريق الّذي يبتدئ من منطلق العقل واليقين العقليّ وينتهي إلى الإيمان، بل الطريق الآمن والمطلوب هو بالعكس، يعني يبدأ بالإيمان والوحي وينتهي إلى العقل. إذن فالمعرفة العقلية تبتني على الإيمان الديني والوحي.

[Etienne Gilson, Reason and Revelation in The Middle Ages, p.16]

ويعتقد توما الأكويني أيضًا (المتوفّى سنة 1274 م) بأنّه يجب أن يكون العقل خادمًا للوحي وتابعًا له، فالوحي هو الأصل وله المرجعية والتفوّق. بناءً على ذلك فلا منازعة ولا تعارض بين العقل والوحي؛ لأنّ العقل ينشط ويعمل في إطار الوحي وفي خدمته. [مجتهدى، فلسفه در قرون وسطى، ص 233]

فالإيمان في وجهة نظر الأكويني هو إذعان العقل لحكم الوحي. وحجّة المؤمن الأخيرة هي شهادة النبيّ، لا قوّة البرهان العقلي. [ضومط، توما الأكوينيّ، ص 20]

إذن على ما تقدّم يظهر أنّ المقصود من النزعة الإيمانية أو الإيمانوية ذلك التيّار الّذي يحذّر المؤمنين من النقد العقلاني للإيمان الديني، ومفردات التعاليم الدينية في مجال الاعتقاد وغيره من المجالات. فالإيمان وفق هذه الرؤية هو التسليم النهائي للمؤمنين، والمعايير العقلية ليس لها أيّ دور في تثبيت الإيمان أو زواله.

[Michael Peterson, William Hasker, Bruce Reichenbach and David Basinger, Reason & Religious Belief, an Introduction to the Philosophy of Religion, p. 37 – 38]

ومن يحاول تحكيم المعايير العقلية في إيمانه يكشف في الواقع عن الكفر الموجود في باطنه.

[John, smith, Philosophy and Religion, in Mircia Eliad, The Encyclopedia of Religion, v 11, p. 299]

الجدير بالذكر أنّ التيّار الإيماني لمّا واجه الأسئلة الدقيقة والتساؤلات المثيرة حول بعض القضايا والتعاليم المحرّفة في المسيحية كالتثليث والفداء وتجسّد الله ﷻ في المسيح وغيرها، وعجز عن الدفاع العقلي والمنطقي عنها، أنكر دور العقل وتساؤلاته حول القضايا الدينية؛ دفاعًا عن معتقداته الخاطئة، وهذا يعدّ من الأسباب الّتي أدّت إلى الإيمانية المفرطة.

لقد ظهرت الإيمانية في العصر الجديد مرّةً أخرى في ثوب قشيب وحديث، ويمثّلها كير كيجارد (Søren Kierkegaard) (1815ـ 1855)، وهو من أبرز المتشدّدين في المدرسة الإيمانية؛ فهو يعتقد بنسبة التعارض والتخاصم بين العقل والإيمان، فكان يرى: بأنّ «الإيمان

ليس نوعًا من العلم والمعرفة والتفكير، بل هو معجزة وعاطفة وعشق واشتياق لا يستطيع أحد أن يفهمه» [كير كجور، خوف ورعدة، ص 48 و85].

يعتقد كير كيجارد أنّ البرهنة العقلية لا تتناغم مع الإيمان، والبحث عن البراهين العقلية هو خدعة ودهاء ونبذ للثقة الّتي يطالبنا بها الله.

[William, p. Aleston, The Epistemology of Religious Belief, p 246;

انظر: جعفري، العقل والدين في تصوّرات المستنيرين الدينيّين المعاصرين، ص 27]

يعتقد كير كيجارد أنّ حقيقة الإيمان هي التعهّد والالتزام المنبثق من الأحاسيس والعشق والعواطف المثيرة، فبناءً على ذلك لا يعتمد المؤمن على الحسابات والقرائن العقلية والأدلّة العلمية في قبول الإيمان، بل يقبل المَخاطر والمشاكل بكلّ شوق ورغبة، ويخوض فيها من دون تعقّل ومعرفة، ولا يعدّ ذلك إلقاءً في التهلكة، بل يعدّه عين الإيمان المحض.

[Michael Peterson, William Hasker, Bruce Reichenbach and David Basinger, Reason & Religious Belief, an Introduction to the Philosophy of Religion, p.66]

يستهزئ كير كيجارد بالّذين يحاولون التحقيق في الدين بالمنهج العيني والعقلي، ويسخر منهم قائلًا: «لو استطعنا أن نُثبت وجود الله ووجود محبّتنا وعشقنا لله، لكان الإيمان بالله أمرًا محالًا. إنّني أؤمن بالله لأنّي عاجز عن إثباته وإدراكه، فلو استطعت أن أفهم وجود الله فلم يبق من الإيمان بالله شيء» [Ibid, p.66].

يركّز كير كيجارد على أنّ «حركات الإيمان جميعًا يجب أن تتمّ بفضل اللامعقول... وبفضل اللامعقول يظهر الإيمان على المسرح» [كير كجور، خوف ورعدة، ص 52 و89]. ويقول أيضًا: «إنّ الإيمان يبدأ تمامًا عندما يرحل التفكير... إنّ الإيمان يتمّ التعبير عنه عادةً فيما لا يكون ثمّة سبيل إلى التفكير فيه على الإطلاق» [المصدر السابق، ص 70 و74].

إذن يرفض الاتّجاه الإيماني أيّ تدخّل للعقل في عملية الإيمان، بل يركّز كير كيجارد على أنّ متعلَّق الإيمان كلّما كان بعيدًا من العقلانية وكان رمزيًّا مبهمًا، كان الإيمان قويًّا وعميقًا. ولكنّ هذا الاتّجاه الإيماني المتطرّف يعاني من عدّة إشكاليات.

الدراسة النقدية

أوّلًا: أنّ المدافعين عن الاتّجاه الإيماني مع أنّهم يرفضون العقل يدافعون عن نظرية الإيمانية دفاعًا عقليًا منطقيًا من حيث لا يشعرون، وهذا هو الوقوع في التناقض. فالتبرير العقلي والتبيين المعقول للإيمانية هو الوقوع في التناقض.

ثانيًا: أنّ الإيمان من الأمور الإضافية الّتي تحتاج إلى المتعلَّق والموضوع، عندما يقول أحدهم: إنّي مؤمن، فيُسأل: بماذا تؤمن؟ وما متعلَّق إيمانك؟ السؤال الرئيسي هو: كيف يختار المؤمن متعلَّق إيمانه؟ وما المعيار لتمييز الصواب عن الخطإ في متعلَّق الإيمان؟ فإذا كان هناك خيارات متعدّدة أمام الإنسان الّذي يريد أن يؤمن بأحد الأديان أو المذاهب أو النظامات العقدية، فأيّها يختار؟! بعبارةٍ أخرى إذا كان هناك بديل أو منافس لمتعلَّق الإيمان بأيٍّ منها نؤمن؟ هنا لا بدّ من التقييم العقلي والتحقيق وفق المعايير المدروسة لترجيح أحد الخيارات على الأخرى. فما المعيار والميزان الصحيح لتمييز الحقّ من الباطل؟ أويصلح شيء غير العقل السليم لهذا التشخيص؟ كلّا، فالعقل هو المصدر الوحيد الّذي يميّز بين الخيارات المختلفة، وما هو أحقّ وأفضل لاتّباعه. من جهةٍ أخرى إذا لم يكن هناك معيار وميزان دقيق لتمييز الحقّ من الباطل، فهذا يستلزم التورّط في النسبية والتناقض.

ثالثًا: أنّ نظرية الإيمانية خاطئة وباطلة من الأساس؛ لأنّ العقل يدعم الإيمان ويؤيّد متعلَّقه، فليس العقل عدوًّا للإيمان وخصيمًا له، بل هو ناصرٌ للإيمان؛ لذا نرى أنّ الأنبياء عليهم السلام لمّا دعوا الناس إلى الإيمان والتوحيد، أقاموا براهين وأدلّةً عقليةً لهم، وأثاروا عقول الناس لقبول الإيمان.

إذن تعريف الإيمان بالشكل الّذي يضمن الفرار من الاستعانة بالأدلّة العقلية لإثبات مفرداته لن يكون سوى محو لصورة المسألة.

رابعًا: لقد عرّف كير كيجارد "الإيمان" بالتعهّد والالتزام المنبثق من الإرادة والعشق والأحاسيس والمشاعر الجيّاشة، ولكن لا تنافي ركائز الإيمان هذه ـ الالتزام والإرادة والعشق ـ استنادَ الإيمان إلى المعرفة والعقلانية، بل الإيمان النابع من المعرفة والأدلّة العقلية إيمان قوي ومستحكم. فلا منافاة بين الإيمان والمعرفة، بل المعرفة والوعي يؤيّد الإيمان ويقوّيه.

العقلانية المعتدلة (Moderate Rationalism)

هناك طريقة وسطية بين "الإيمانية" المفرطة الّتي ترفض العقل وتنكر دور الدليل العقلي في تكوّن الإيمان والمعتقدات الدينية، وبين العقلانية المفرطة أو الدليلية الّتي ترفض الإيمان والوحي وترجّح العقل عليه، وهذه الطريقة هي "العقلانية المعتدلة".

بناءً على العقلانية المعتدلة فإنّ حجّية العقل واعتباره أمر ذاتي للعقل، فالعقل حجّة بالذات، ولا يمكن إثبات حجّيته بالعقل؛ لأنّه يستلزم الدور أو التسلسل. كذلك لا يمكن إثبات حجّية العقل بالنقل (الكتاب والسنّة)؛ لأنّ حجّية النقل وإثباته يتوقّف على العقل، فإنّ العقل هو الذي يُثبت وجود الله ﷻ والنبوّة والمعاد وضرورة الاعتماد على الوحي، فلو توقّف العقل على النقل لزم الدور. فالعقل السليم حجّة بالذات لا بسبب أمرٍ آخر. [جوادي آملي، حقيقة الدين، ص 114]

من جهة أخرى فإنّ للعقل نطاقًا محدّدًا وإطارًا معيّنًا، فلا يدرك جميع الحقائق وأسرار الكون، فهو يعترف بحاجته إلى الوحي وعدم الاستغناء عن الدين، خاصّةً في التعبّديات والمناسك. السؤال الأصلي في مبحث "العقل والدين" هو: كيف يمكن بناء المنظومة العقدية والمعارف الدينية وتأصيلها تأصيلًا عقليًّا منطقيًّا؟ وكيف يتسنّى عقلنة القضايا الدينية وجعلها معقولةً؟ يجيب الاتّجاه العقلي المعتدل على هذا السؤال المفصلي اعتمادًا على نظرية "المبنائية" المطروحة في "نظرية المعرفة" (Epistemology) ويقول:

هناك من بين المعارف البشرية قضايا بدهية أساسية ومبادئ أوّلية، وهي بيّنة بذاتها لا تحتاج إلى الإثبات والبرهان والدليل، ولا تبتني على قضايا أخرى، كقضية "امتناع التناقض" أو "أصل الواقعية" أو أنّ "الكلّ أعظم من الجزء" وغيرها من القضايا الأوّلية والوجدانيات. وهذه القضايا البدهية تعدّ رأس المال الحقيقي للمعارف البشرية الّتي يستطيع الإنسان أن يزيد في علمه ومعرفته عن طريق التفكّر والتعقّل في ضوئها. من جهةٍ أخرى هناك قضايا نظرية وغير بدهية ولا بيّنة بذاتها، بل تتّضح بإرجاعها وتحويلها إلى القضايا الأوّلية البيّنة وتعتمد عليها.

[Alvin Plantinga and Nicholas Wolterstorff, Faith and Rationality, pp. 52- 53]

بناءً على هذا المنهج يمكن إرجاع القضايا الأساسية الدينية مثل أصول الدين والخطوط الكلّية الأخلاقية إلى العقل والبرهان العقلي، كقضية "الله موجود"، فإنّها ليست من القضايا البدهية

الأوّلية، فيجب إرجاعها إلى القضايا البدهية بالطريقة المنطقية المعهودة في علم المنطق الّتي تتضمّن المقدّمات القطعية اليقينية والمنهج اليقيني للاستنتاج، وهو البرهان العقلي.

نعم، يعجز العقل عن إقامة الدليل والبرهان على القضايا والأحكام الجزئية، ككثير من الفروع الفقهية والتعبّديات. والعقل نفسه يعترف بعجزه في كشف أسرارها؛ لأنّ القضايا والأحكام الجزئية خارجة عن عهدة العقل ونطاقه؛ لأنّ العقل ينشط ويعمل في إطار القضايا الكلّية، فلا يتدخّل في القضايا الجزئية.

من هنا يتّضح أنّه لا تعارض ولا تنافي بين العقل والدين؛ لأنّ هناك تعاضدًا وتعاونًا وثيقًا بينهما؛ لذا يعتقد بعض المفكّرين بأنّ العقل ليس مصدرًا معرفيًّا مستقلًّا في مقابل الدين وخارجًا عن نطاقه، بل العقل يكون في قبال النقل وليس في مقابل الدين. بعبارةٍ أخرى فإنّ العقل والنقل وجهان لحقيقة واحدة، ومصدران لكشف إرادة الله تعالى، وهما جناحان لفهم الدين. فكما أنّ حكم النقل الصحيح حجّة شرعية معتبرة يحتجّ به الله ﷻ يوم القيامة، فكذلك البرهان العقلي القطعي حجّة شرعية معتبرة يحتجّ به الله ﷻ يوم القيامة، فمن وافقه فهو يُثاب ومن خالفه يُعاقَب. فحكم العقل حجّة شرعية معتبرة، سواء كان من أحكام العقل النظري أو كان من أحكام العقل العملي. على سبيل المثال إذا حكم العقل العملي باستخدام الآلات والتقنيات الزراعية في تسهيل عملية الزراعة لأجل استقلال البلد زراعيًّا، واستلزم الأمر أيضًا بناء سد إسمنتي لأجل تخزين المياه لذلك الأمر، غير أنّ بعض الأفراد خالفوا ذلك عمدًا بأن أقاموا سدًّا ترابيًّا بدل الإسمنتي، وصرفوا من بيت المال لأجل ذلك، فعلى محكمة العدل الإسلامية أن تقاضيهم وتشجب فعلهم، كما ينال مثل هؤلاء الأفراد جزاءهم وعذابهم يوم القيامة. [جوادي آملي، حقيقة الدين، ص 108]

وإذا أثبت العقل البرهاني حكمًا فقهيًّا أو قانونيًّا أو أخلاقيًّا أو سياسيًّا أو ما شابه ذلك، فلا يعدّ حكمًا بشريًّا في قبال الحكم الإلهي، بل حكم العقل القطعي البرهاني الصحيح يعدّ حكمًا إلهيًّا أيضًا؛ لأنّ الله ﷻ كما يوصل مرادَه ورسالته عن طريق النقل الصحيح، كذلك يبلغه ويُفهمه عبر العقل الصحيح المبرهن؛ إذ العقل والنقل يكشفان عن إرادة الله تعالى. نعم، القياس الظنّي والاستحسانات البعيدة عن البرهان العقلي الصحيح تعدّ حكمًا بشريًّا لا يعتمد عليه في كشف الواقع ومراد الله ﷻ. [جوادى آملى، فلسفه حقوق بشر، ص 40 و41]

ولا يخفى أنّ المقصود من العقل المقابل للنقل هو العقل الخالي من الأوهام والخيال والقياس والظنّ، وهو حكم العقل القطعي والبرهاني الّذي لا تشوبه شائبة الشكّ والريب.

وهناك حديث عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام يدلّ بوضوحٍ على الترابط الوثيق بين العقل والدين، يقول عليه السلام: «هبط جبرئيل على آدم عليه السلام فقال: يا آدم، إنّي أُمرت أن أخيّرك واحدةً من ثلاثٍ، فاخترها ودع اثنتين. فقال له آدم: يا جبرئيل وما الثلاث؟ فقال: العقل والحياء والدين، فقال آدم: إنّي قد اخترت العقل. فقال جبرئيل للحياء والدين: انصرفا ودعاه. فقالا: يا جبرئيل، إنّا أُمرنا أن نكون مع العقل حيث كان، قال: فشأنكما. وعرج» [الكليني، أصول الكافي، ج 1، ص 12]. ولا يخفى أنّ النبيّ آدم عليه السلام اختار العقل من بين هذه الثلاث بمساعدة العقل، فالعقل هو الّذي يرجّح نفسه والهداية العقلية على الحياء والدين.

الجدير بالذكر أنّ القضايا والمعارف الدينية تنقسم إلى قسمين، فقسمٌ منها يعدّ من القضايا الأخبارية الّتي تحكي عن الواقع، والقسم الآخر يعدّ من القضايا الإنشائية الّتي ليس لها مصداق أو محكيّ تطابقه، بل محكيّ هذه القضايا ومطابقها يتحقّق بسبب الإنشاء في الخارج. والمعروف بين الحكماء أنّ معيار صدق القضايا الخبرية هو مطابقتها للواقع، والدليل العقلي يساعد ويُثبت مطابقة القضية لواقعها.

ولكن ما معيار الصدق في القضايا الإنشائية؟ هناك كثير من الأوامر والنواهي والترجّي وغيرها من القضايا الإنشائية في النصوص الدينية، فكيف نعرف صدقها؟ وما هو معيار تشخيص الصدق والكذب فيها؟

هناك نظريّات مختلفة في تبيين معيار الصدق في القضايا الإنشائية، منها أنّ القضايا الإنشائية لها واقع ومطابَق، ومعيار صدقها هي مطابقتها لواقعها ومحكيّها.

كيف يكون للقضايا الإنشائية واقع ومحكيّ؟ يقول أتباع هذه النظرية:

إنّ القضية الإنشائية مثل "يجب أن تصدق ويحرم أن تكذب" لها جذور في الواقع، وهي أنّ للإنسان كمالًا غائيًّا نهائيًّا يجب عليه الوصول إليه، وتلك الغاية الكمالية هي التقرّب إلى الله تعالى، فكلّ عمل يقرّب الإنسان إلى تلك الغاية المطلوبة فهو واجب ولازم، وكلّ عمل يبعّده عنها فهو منهيّ وممنوع، ويعبَّر عن هذا المطلب بـ "الوجوب بالقياس إلى الغير"، مثل وجوب الرياضة للّذي يريد الحصول على الصحّة والعافية. فالقضايا الإنشائية لها واقع، وواقعها هو الغاية

المتوخّاة منها والوصول إليها. [الكليني، أصول الكافي، ج 1، ص 12]

في المقابل هناك من يعتقد بأنّ القضايا الإنشائية مثل الوجوب والحرمة والاستفهام والترجّي وغيرها أمور اعتبارية وضعية محضة لا واقع وراءها، بل بما أنّ هذه الأمور الاعتبارية صدرت من الله ﷻ وهو أمر حقيقيّ، فهذه القضايا حقيقية. إذن هناك اتّجاهان رئيسيان في بيان معيار الصدق والكذب في القضايا الإنشائية كما تمّت الإشارة إليهما.

ولكنّ الصحيح من بين هذين الاتّجاهين هو الاتّجاه الواقعي الّذي يركّز على أنّ القضايا الإنشائية تتجذّر في الواقع، وليست منوطةً باعتبار المعتبِر؛ لأنّ القول بأنّ القضايا الإنشائية وضعية واعتبارية محضة يستلزم التورّط في النسبية، والفوضى في القيم الأخلاقية والأحكام الفرعية.

الخاتمة

هناك نظريات مختلفة حول بيان العلاقة بين العقل والدين، من أبرزها نظرية "الدليلية" ونظرية "الإيمانية". تركز نظرية الدليلية على أنّ المعتقدات الدينية ليست معقولةً ما دامت لم تخضع للشواهد والقرائن الكافية، فالّذي لا يمتلك دليلًا أو قرينةً كافيةً مقنعةً لشيء أو عليه فيجب أن يتوقّف ولا يجزم به. فالاعتقاد بشيء من دون الاعتماد على الأدلّة والقرائن الكافية يوجب التورّط في الخطإ والكذب والضلال، ويعتبر عملًا غير أخلاقي.

يدافع ويليام كليفورد عن نظرية الدليلية، ويعتقد بأنّه لا تكون القضيّة معقولةً وصحيحةً إلّا أن تكون مدعومةً ومؤيَّدةً بالقرائن والشواهد الكافية، فكلّ قضيّة تعتمد على أدلّة وقرائن غير كافية وناقصة فهي خاطئة. يرى كليفورد أنّ الاعتقاد بالله غير معقول أو بعيد عن العقل والبرهان العقلي، ولا تنطبق عليه المعايير المعرفية؛ لأنّه لا يوجد أدلّة وقرائن كافية ووافية على الاعتقاد بالله.

يستدلّ كليفورد بتمثيل "السفينة" على أنّه لا يجوز الاعتقاد بشيء إلّا إذا كانت هناك شواهد وأدلّة وبيّنة كافية على تأييده ودعمه. تعاني نظرية الدليلية من إشكالات عديدة منها أنّها تناقض ذاتَها بحسب المعيار الّذي تعتمد عليه؛ لأنّ هذه النظرية لا تُقنع كلّ عاقل، فهي غير معقولة!

هناك اتّجاه مضادّ للدليلية وهو الاتّجاه الإيماني الّذي يركّز على محورية الإيمان وإقصاء دور العقل في إثبات المعتقدات الدينية. تعاني نظرية الإيمانية من إشكالات عديدة أوّلها: أنّها تحاول أن تقصى العقل عن الدين بالأدلّة العقلية، وهو ضرب العقل بسيف العقل، وهذا تناقض واضح فيها. وثانيًا: أنّ نظرية الإيمانية خاطئة وباطلة من الأساس؛ لأنّ العقل يدعم الإيمان ويؤيّد متعلَّقه، فليس العقل عدوًّا للإيمان وخصيمًا له، بل هو ناصر للإيمان.

هناك طريقة وسطية بين "الإيمانية" المفرطة الّتي ترفض العقل وتنكر دور الدليل العقلي في تكوّن الإيمان والمعتقدات الدينية، وبين العقلانية المفرطة أو الدليلية الّتي ترفض الإيمان وترجّح العقل عليه، وهذه الطريقة هي "العقلانية المعتدلة".

بناءً على العقلانية المعتدلة ليس هناك أيّ تعارض وتنافٍ بين العقل والدين؛ بل إنّ هناك تعاضدًا وتعاونًا وثيقًا بينهما.

قائمة المصادر

جعفري، محمد، العقل والدين في تصوّرات المستنيرين الدينيّين المعاصرين، ترجمة حيدر نجف، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلاميّ، الطبعة الثانية، 2015 م.

جوادی آملی، عبدالله، فلسفه حقوق بشر [فلسفة حقوق الإنسان]، قم، مركز نشر اسراء، چاپ اوّل، 1417 ه.

جوادي آملي، عبد الله، حقيقة الدين، ترجمة عادل لغريب، بيروت، مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1436 ه.

حسين زاده، محمد، معرفت دينى؛ عقلانيت و منابع [المعرفة الدينية.. عقلانيّتها ومصادرها]، موسسه آموزشى پژوهشى امام خمينى، قم، چاپ دوّم، 1396 ش.

ضومط، ميخائيل، توما الأكوينيّ، بيروت، دار المشرق ش. م. م، الطبعة الثالثة، 1992 م.

الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، أصول الكافي، محقق / مصحح: غفاري، علي أكبر وآخوندى، محمد، طهران، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، 1407 ه.

كير كجور، سِرِن، خوف ورعدة، ترجمة فؤاد كامل، مصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1984 م.

كريم مجتهدى، فلسفه در قرون وسطى [الفلسفة في القرون الوسطى]، تهران، مؤسسه انتشارات امير كبير، چاپ اول، 1375 ش.

مصباح يزدى، محمدتقى، فلسفه اخلاق [فلسفة الأخلاق]، مؤسسه آموزشى و پژوهشى امام خمينى ، قم، چاپ چهارم، 1385 ش.

References

Alvin Plantinga and Nicholas Wolterstorff, Faith and Rationality, University of Noter Dame, Press. London.1991

Etienne Gilson, Reason And Revelation In The Middle Ages, Charles Scribner,s Sons. New York, 1938.

johne , smith ,philosophy and religion, in mircia eliad , the encyclopedia of religion ,v 11 ,

Michael Peterson, William Hasker, Bruce Reichenbach and David Basinger, Reason & Religious Belife, an Introduction to the Philosophy of Religion, New York: Oxford University Press, Fifth Edition, 2013

W. K. Clifford, The Ethics of Belief, Introduction by Timothy J. Prometheus Books 59 John Glenn Drive, Amherst, New York, 1999.

William, p. Aleston, The epistemology of religious belief, Encyclopedia of philosophy, London and New York, Routledg, 1998, Rutledge, V.8